من تراب الطريق (٣٢٨) الزبالة وقلة الحيلة ! (*)

لم يعد فى وسع أحد أن يسكت على الزبالة التى علت أكوامها فصارت جبالًا ملأت البلاد ولم تنج منها العاصمة ، بل صارت شاهدًا فيها على خيبة مطبقة وإخفاق ذريع وعجز طفق يتزايد حتى تفجرت البثور وتقيحت ، وأمست عنوانا للقبح والدمامة ، ومرتعًا للقطط والكلاب الضالة ، وللزواحف والجراثيم ، وللأمراض التى باتت متوطنة متفشية فى بَر مصر !!

سمعت كلامًا كثيرًا لم يقنعنى ولا أظن أنه يقنع أحدًا ، عن الشركات الأجنبية التى تعاقدت معها الإدارة المصرية هنا أو هناك .. ومن المسئول عن هذه الكارثة : الإدارة المتهمة بعدم الوفاء بالمستحقات فى مواعيدها ، أم شركات النظافة الأجنبية التى أعطتها ظهرها بعد أن نالت بغيتها !! .. لا محل للدخول فى هذه المتاهات ، البيضة أم الدجاجة ، فالحكومة هى المسئولة فى جميع الأحوال ، لأنها هى التى رأت وأبرمت وتعاقدت وتابعت !!

كان الظن أن تطهير الزبالة فى بَر مصر ، آخر ما يمكن أن تلجأ فيه الحكومة إلى الخبراء الأجانب ! .. قد نحتاج خبراء أجانب فى الذرّة ،

(*) المال ١٥/ ٩/ ٢٠٠٩

أو العلوم ، أو الهندسة ، أو الطب ، أو الصناعة ، أو الاقتصاد .. ولكن رفع القمامة ، والتصرف فيها بعد تصنيفها وتوزيعها تبعا لأنواعها ، مهمة يتولاها ويجيدها الزبالون من قديم الأزل .. قد يحتاج عملهم إلى تنظيم وتطوير ، وهذا ضرورى ، وقد يلزم الاستعانة وهذا ضرورى أيضا بإمكانيات أكبر وأكثر تقنية وكفاءة ومقدرة ، بيد أن هذا كله متاح وميسور فى بَر مصر !

لا أدرى ، ولا يدرى عاقل ، لماذا قعدت وتقعد الحكومة المصرية عن ضرب عصفورين بحجر واحد (؟!) .. أقصد حل مشكلتين أزليتين بتصرف واحد رشيد .. نحن نعانى من مشكلة «بطالة» مزمنة ، وتزايد هائل فى أعداد العاطلين .. هؤلاء العاطلون يحتاجون إلى عمل ، وتدبير هذا العمل غاية اجتماعية واجبة لذاتها ..يقال فى الأمثال : «اليد البطّالة نجسة» !.. هذه البطالة هى التى تدفع إلى أحضان الإرهاب ، أو مباءات الرذيلة ، فى الغُرز والمواخير وترويج المخدرات ، وفى العشوائيات والحوارى والأزقة ، وفى مقالب الزبالة ذاتها .. وتجنيب شبابنا هذه الجنوحات ، بتوفير فرص عمل لهم ولقمة حلال ـ غاية حميدة فى ذاتها لأى حكومة رشيدة تدرك واجباتها إزاء مواطنيها !

هذا هو العصفور الأول ، أما العصفور الثانى ، بذات الحجر ، أو بذات القرار والتصرف ، فهو تخصيص فرص العمل فى مجال النظافة وتطهير البلاد من القمامة والقاذورات .. وظنى أنه ليس عويصًا ، ولا هو من المستحيلات ، أن تنشئ الحكومة هيئة قومية للنظافة ، فعلا لا اسمًا ،

وأن تضع لها الهياكل التنظيمية ، والآليات الإدارية ، وتوفر لها المركبات والمعدات والآلات ، وتوظف فيها أرتال العاطلين الباحثين عن عمل ولقمة عيش شريفة .. هذه الهيئة إذا أرادت خبراء لرفع كفاءة الأداء ، فإن أمامها الخبراء المصريين لا الأجانب .. هؤلاء الذين رفعوا عنا الزبالة لعشرات بل لمئات السنين ، وصارت لديهم خبرة عريضة ـ رغم تواضع الإمكانيات ـ فى التعامل مع الزبالة جمعًا وتصنيفًا وتوزيعًا .. وليس على الإدارة المأمولة ، إلاّ أن تزاوج بين هذه الخبرة التى دانت لهؤلاء على مدى السنين ، وبين الإمكانيات التى ستوفرها الدولة ـ مع فرص العمل ـ فى الهيئة المصرية لا الأجنبية للنظافة .. يومها ستتطهر مصر من أكوام وجبال الزبالة ، بأيدى أبنائها ، ويتجمل وجهها بجهود إدارتها التى ليس عليها إلاّ أن تخرج بعقلها وفكرها من القمقم أو الزقاق وقلة الحيلة ، إلى باحة العقل والنضج وحسن تصريف الأمور !!

*****